صفحة من كتاب النجف في ربع قرن :

عوامل الثورة النجفية ضد الاحتلال

سنة ١٩١٨ م

بقلم : محمد علي كمال الدين

— ٣ —

٣ — العوامل المباشرة للثورة (١)

في بحثنا السابق اتينا على العوامل غير المباشرة أو اتينا على العوامل التي ازالت عن النفسية النجفية تلك الثقة العمياء بالانكليز ، وبما ان زوال الثقة ليس معناه المناوأة وايقاد نار الثورة فعلينا الآن ان نبحث عن العوامل المباشرة لاشعالها وها نحن نسرد تلك الحوادث مراعين تطوراتها وتسلسلها . وهذه هي : —

١ — صادف بعد مجيء حاكم الاحتلال السياسي الى النجف في شهر نيسان سنة ٩١٧ انتهاب جماعة عطيه ابو كلل (بكاف فارسية) . احد شيوخ النجف ، قافلة تجارية لقبيلة عنزة المشايعة للانكليز من جماعة فهد الهذال . احد زعمائها . وكان السبب لهذا الانتهاب هو امتناع القافلة عن تأدية الضريبة (الخاوة) الى عطيه الامر الذي اوجد استياء الحاكم البريطاني .

٢ — بعد ذلك الحادث اتهم الانكليز الشيخ عطية بالمتاجرة مع العثمانيين في المواد المحرمة (القلاي والزئبق) وذلك حسب شهادة ناصر من أهالي قرية (كبيسة) الذي اشترى تلك المواد من عطية نفسه ونقلها تحت حمايته من النجف ثم سلمها الى الانكليز رأساً بصفته جاسوساً الامر الذي اخاف عطية خوفا شديداً تجلى بتظاهره بتمضاً ومتأثراً من اصدقائه الانكليز .

٣ — نفوذ شيوخ النجف وعدم افساحهم المجال للحاكم البريطاني في تشكيل الحكومة وممارسة السلطة كما يرغب اليه الاحتلال .

٤ — حركات جمعية النهضة الاسلامية السرية المؤسسة من غير ذوي المبادي العربية تحت اشراف ... ومباشرة ... ثم قيام هذه الجمعية بنشر المناشير وتعليق الاعلانات المنددة بالسياسة الانكليزية علاوة على اتصالها تحريريا برئيس قلم الاستخبارات العسكري الالماني الكبتن (بريسل) في مدينة (عانة)

٥ — تعزيز الانكليز شرطتهم المحلية بمفرزة هندية حلت في الكوفة تمشية لمركز حكومتهم المستحدثة وقيامها بحركات استفزازية بان تتجول حول سور مدينة النجف يومياً مما يبعث الريبة ورواج الشائعات ان الانكليز يريدون بالشيخ عطيه سوأ وذات يوم اجتازت الجبانة من الشرق الى الغرب مما يلي نهاية محلة العمارة فاطلق جماعة عطية الرصاص في وجهها وشاع انه قتل جندي وجرح آخر ، والمفرزة لم ترد على النار بمثلها ولم يتخذ الحاكم أي اجراء حول هذا الحادث واكتفى بتعزيز مفرزته باخرى .

٦ — وبعد مرور ايام على الحادث حلقت طائرة في سماء النجف لارهاب المعتدين فانتهز اعضاء جمعية النهضة هذه الفرصة لتوسيع شقة الخلاف فرموا الطائرة بالرصاص ولكن السواد النجفي العام لم ترق له هذه الاعتداءات على الانكليز المنتصرين ولا سيما الطبقة غير المسلحة والطوائف الاجنبية والطبقة المسلحة المعادية الى عطية أو الحاسدة له على مكانته لدى الانكليز انفسهم فان هذا السواد النجفي العام بالرغم من زوال ثقته بالانكليز لم يجد ضرورة لاعلان العداء اضافة الى الخشية على البلد الآمن من حرب مع الانكليز الاقوياء فتجمهر السواد مع الاشراف والاعيان والشيوخ وطلبوا الى عطيه ان يبارح البلد كي لا يكون سبباً لايقاد الفتنة وقد اعتذر هو انواع المعاذير بان رمي المفرزة لم يكن بامره وان الضريبة (الخاوة) يشترك فيها جميع شيوخ النجف علاوة على انها لا تختص في النجف وانما يجبيها كل الفراتيين في مناطقهم وانه لا يزال على صداقته مع الانكليز بدلالة وجود عزيز خان اخي حميد خان مع افراد آخرين بين اصحابه

(١) لايستلزم من نشرنا للابحاث مشاطرتنا لرأي كتابها، فان الكاتب لا يمثل إلا رأيه الخاص ، ومنهم الاستاذ السيد محمد علي كمال الدين .

المسلحين فاكتفى الحاكم الانكليزي بهذه المعاذير وتدرع بسياسة اللين موقتاً غير ناس قضية المتاجرة بالمواد الممنوعة وهذه الغطرسة والغرور .

٧ ـ وعقيب شهرين هدأت النجف واطمأنت وكادت تتناسى تلك الحوادث واذا بالحاكم يفور الذى انتصر جيشهم اخيراً في شهالي سامراء يطلب حضور عطية وكاظم صبي وكريم بن سعد الحاج راضي لديه فيطالبهم بقضية انتهاب قافلة عنزة مجددا وفي الوقت نفسه يعمل على تحقيرهم واغضابهم بوسائل صبيانية بان اقامهم عدة مرات متوالية فادي ذلك الى الشجار مع كاظم صبي وسرعان ماانتشر في السوق الخبر وتجمهر المسلحون من جماعة هؤلاء حول دار الحكومة (وكانت بناية البرق والبريد الحالية) وكان اتباع هؤلاء الشيوخ الثلاثة هم من اكثرية المسلحين وكانت جمعية النهضة قد كثر منتسبوها من حملة السلاح فانتهزت فرصة هذا الشجار لتوريط النجف فانتهب بعض رجالها كراسي مدخل (السراي) ولكن الاشراف والشيوخ الاخرين اسرعوا لاطفاء الفتنة وحرسوا الحاكم حتى عند سفره الى الكوفة عصرا .

٨ ـ لم تكتف الجمعية بما قامت به في اثناء الشجار بل ادسات في وقته احد منتسبيها (عباس الحاج نجم) لاثارة مدينة ابو صخير وقتل الكولونل لجمن فلم يعثر عليه ولكنه هجم على السراي وحرقه فانحلت حكومته . وعلى اثر هذا الحادث جلبت الحكومة المحتلة الى الكوفة قوة هائلة بالنسبة الى مدينة كالنجف وطبقوا ادارتهم وسلطتهم المطلوبة واكتفوا في معاقبة عطية بجلائه واسرته من النجف الى البادية وقصورها بعيداً وذلك في اواخر سنة ١٩١٧

٩ ـ كان جيش الاحتلال ثقيلا على النجفيين في حركاته الاستفزازية واستعراضاته ومعاملاته وكانت تحكمات الحكام واذنابهم في ممارسة السلطة اشد ثقلا وانكى ولكن الخوف اضطرهم الى الاستكانة على مضض والى طمر ذلك السلاح الجميل الذي رافقهم معه العزة والغطرسة طيلة ثلاث سنين تقريباً . وليس ينسى النجفيون مشهد التشهير الذي دعاهم اليه منادي

الاحتلال العاني فغص بهم عند الغروب الميدان والمتارب المحيطة به حتى قبر سيد عزيز في وسط الميدان عروا شابا من ثيابه وهو من الاسر المعروفة وجلدوه على تجزه لمخالفة حدثت منه . ولم تبق لدي النجفيين طويقة ازاء هذه القوى الرهيبة والجيوش الجرارة الخشنة الى ان عمدوا الى الكتمان في المحالفات ـ والموادعات بينهم من جهة وبينهم وبين بعض العشائر الريفية من جهة اخرى ولا سيما كاظم صبي وكريم الحاج سعد المتوقفين ساعة النكبة من ذلك الحاكم الذي وقع معه الشجار والتجمهر المتقدم بحثه

١٠ ـ كان الجو ملائماً لحزب النهضة السري فاكثر مشايعيه وكون حزبين . سياسياً وحربياً . يرتبطان كل الارتباط بوسطاء منهم احد الاعضاء النشطاء المخلصين السيد ابراهيم السيد باقر . وقام بعدة اعمال اهمها انه زود عباس الحاج نجم بتقارير اوصلها الى مدينة عانة لجلب التعاليم والاستعانة بالجيش العثماني في حين ان الانكليز باشروا بتغيير خطتهم وسحب الجيش من النجف وربما كان ذلك لضرورة عسكرية غير ان الراجح انهم لم يدركوا خطر الحزبين اولم يتصل بهم خبرهما ولذلك اكتفوا بالشرطة المحلية وايفاد حاكم اديب طيب الاخلاق مستشرق هو الكبتن (مارشال) وبذلك نشطت اعمال الحزبين وانشأ الحزب المسلح فروعاً في الكوفة وابو صخير والحيرة والشامية وقرروا ايقاد نار الثورة في يوم معلوم ولكنهم حاولوا ادخال بعض الكربلائيين في حزبهم فانتدبوا لهذا الامر السيد ابراهيم فكان الكربلائيون سبباً لانكشاف السر

هذه هي معظم العوامل المباشرة التي اوقدت نيران الثورة النجفية ضد الاحتلال ومن خلال حوادثها يتضح للقارئ ان الثورة نتيجة سعي حزب معين بدون علم اكثرية السواد النجفي وبدون رغبة من الطبقة الخاصة ولا سيما طبقة العلماء والتجار وارباب الثراء سواء العزل من السلاح اوالذين اجبرتهم اوضاع الحرب على التسلح به وهم له كارهون . اما حملة الفكرة العربية او (الألفيون حسب اصطلاح ذلك العصر) امثال

البقية على ص ٤٣